تفسير سورة لقمان كاملة

بأسلوب بسيط

سورة لقمان

رامي حنفي محمود

تفسير سورة لقمان كاملة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفسير سورة لقمان كاملة بأسلوب بسيط

رامي حنفي محمود

سلسلة كيف نفهم القرآن؟[1]

تفسير سورة لقمان

– الآية 1: (الم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (ألِف لام ميم).

– من الآية 2 إلى الآية 5: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) يعني هذه هي آيات الكتاب المُشتمِل على الحِكَم العظيمة، المُحكَم الذي لا يأتيه الباطل، وقد نزلتْ هذه الآيات لتكون (هُدًى) أي مُرشِدةً إلى الحق (وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ) الذين يراقبون ربهم في كل شؤونهم، ويُحسنون عبادتهم له (بتخليصها من الشرك والرياء، وبأدائها كما شَرَعَها لهم)، وهم (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) أي يؤدّونها في أوقاتها (بخشوعٍ واطمئنان) (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) لمُستحِقّيها (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) أي يُصدِّقون تصديقاً جازماً بالحياة الآخرة وما فيها مِن حساب وجزاء، (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) أي على نورٍ من ربهم، ويعيشون بتوفيقٍ مِن خالِقِهم (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أي الفائزونَ في الدنيا والآخرة.

– الآية 6، والآية 7: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي) أي يَختار (لَهْوَ الْحَدِيثِ) (وهو كل ما يُلهي عن طاعة الله ويَصُدّ عن رضاه)، فيُفَضِّله على الحق، ويدعو الناسَ إليه (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ): أي ليُضِلَّهم عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، (بِغَيْرِ عِلْمٍ) يعني: وهو لا يَعلم أنّ مَن دَعا إلى ضَلالة، كان عليه ذنب مَن عَمِلَ بها إلى يوم القيامة، (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا): أي يتخذ آيات الكتاب الحكيم سُخريّةً ولعباً، ولا يمتثل لأوامرها (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) أي عذابٌ يُهينهم ويُذلّهم، (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا) يعني أعرض عن طاعة الله، وتكبَّر عن الامتثال لما تدعو إليه الآيات (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا) (كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) أي صَمَمًا أو ثِقَلاً في السمع، (فَبَشِّرْهُ) – أيها الرسول – (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) في نار جهنم، (واعلم أنّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قد أقسم بالله تعالى أنّ المقصود من (لَهْوَ الْحَدِيثِ) هو الغناء).

♦ وهنا قد يقول قائل: (إنني أريد التوبة من سماع الأغاني، ولكني أريد بديلاً لها، لا تتركني هكذا بدون بديل).

---

1 وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي "، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

وأنا أنصحك أخي التائب الحبيب بالاستماع إلى القرآن الكريم من أحد المشايخ الذين يؤَثِّرون فيك، بحيثُ تَخشع عند سماع تلاوتهم، وكذلك أنصحك بالاستماع إلى أنشودة: (نُونيّة القحطاني) بصوت الشيخ "فارس عباد" أثابه الله، فهي مفيدة جداً ومؤثرة (وأقول ذلك عن تجربة شخصية)، وكذلك أنصحك بالاستماع إلى أناشيد الشيخ "مشاري راشد" أثابه الله تعالى.

- الآية 8، والآية 9: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله وبكل ما أخبر به رسوله من الغيب (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (فأدَّوا الفرائض والواجبات، وسارَعوا في النوافل والخيرات)، أولئك (لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) (خَالِدِينَ فِيهَا) (فحياتهم فيها أبديةٌ، وفرْحَتهم فيها لا توصَف)، (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أي: وَعَدَهم الله بذلك وعدًا حقًا (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي لا يَمنعه مانع مِمَّا أراد، (الْحَكِيمُ) الذي يَضع الأشياء في مواضعها (فيُدخل المؤمنين الجنة، ويُدخل الكافرين النار).

- الآية 10: (خَلَقَ) سبحانه (السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ) كما (تَرَوْنَهَا) أي كما تشاهدونها (مرفوعةً بقدرتِهِ مِن غير أعمدة)، (وَأَلْقَى) أي وَضَعَ سبحانه (فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) أي جبالاً راسية لتُثَبِّت الأرض (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ): أي حتى لا تميل بكم وتتحرك (إذ لو تَحَرَّكَتْ بكم: ما استقامَ العيشُ عليها، ولَتَهَدَّمَ ما عليها وتَساقَط)، (وَبَثَّ فِيهَا) أي نَشَرَ في الأرض (مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) من أنواع الدواب التي تدب على الأرض، (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) (فَأَنْبَتْنَا) بهذا الماء (فِيهَا) أي في الأرض (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) أي مِن كل نوع من أنواع النبات الحَسَن المَنظر، النافع للناس.

- الآية 11: (هَذَا) - الذي ذُكِرَ لكم، والذي تشاهدونه في حياتكم - هو (خَلْقُ اللَّهِ) (فَأَرُونِي) أيها المُشركون (مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ): أي ماذا خلقتْ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟! (بَلِ الظَّالِمُونَ) أي المُشركون (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي في ضلالٍ واضح.

- الآية 12: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (والراجح أنّ لقمان هو عبدٌ صالح أعطاه الله الحكمة (وهي الفقه في الدين وسلامة العقل والإصابة في القول والفعل)، وألهَمناه (أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ) نِعَمَه عليك، (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) يعني: فإنَّ نَفْعَ ذلك الشكر يَرجع إليه في الآخرة، (وَمَنْ كَفَرَ) أي جَحَدَ النعمة وتَرَكَ الشكر: (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن شُكره، (حَمِيدٌ) أي له الحمد والثناء على كل حال (يحمده مَن في السماوات والأرض)، (واعلم أنّ الشكر هو ذِكرُ النعمة باللسان، وذلك بقوْل كلمة: (الحمدُ لله)، وكذلك باستخدام النعمة في طاعة المُنعِم جَلّ وعَلا، وعدم استخدامها في معصيته، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي حَقِّقوا الشُكر بتقواكم لله تعالى).

- الآية 13: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ): (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ) (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لأن الله تعالى هو وحده الخالق المُنعِم، وأما غيره فلم يَخلق شيئاً ولم يُنعِم بشيء، إذاً فليس من العدل أن يَخلُقَ سبحانه ويُعبَد غيرُه، وأن يَرزُقَ ويُشكَر غيرُه!).

- الآية 14: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ): يعني وَصّيناه أن يُبِرّهما، وأن يُحسِن إليهما بالقول والعمل - وخاصةً أمه - فقد (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أي ضَعفًا على ضَعف، وشدة على شدة (وهي آلام الحمل والولادة

والإرضاع)، ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم برّها فوق بر الوالد مرتين، فكما ثبت في الصحيحين أنّ رجلاً قال: (يا رسول الله مَن أحَقّ بحُسن صحابَتي؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم مَن؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم مَن؟)، قال: (أمك)، قال: (ثم مَن؟)، قال: (أبوك).

(وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) يعني: ومدة رضاعته تنتهي في عامين، (ولفظ "فِصاله" للإشارة إلى أنه يُفصَل حينئذٍ عن الرضاعة)، ووصيناهُ (أَنِ اشْكُرْ لِي) نعَمي عليك (بطاعتي وذِكري) (وَلِوَالِدَيْكَ) إذ هما سبب وجودك في الحياة (فوَجَبَ عليك شُكرهما ببرِّهما وصِلتهما وطاعتهما في غير معصية الله)، (إِلَيَّ الْمَصِيرُ) يعني: إليَّ مرجعكم بعد موتكم، فأُجازي الشاكر المطيع في جنات النعيم، وأعاقب الجاحد العاصي بالعذاب الأليم.

– من الآية 15 إلى الآية 19: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ) أي بَذَلا جهدهما معك أيها المؤمن (عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي) في عبادتي (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أي ما ليس لك به دليل على استحقاقه للعبادة (وليس لأحدٍ عِلم أو دليل على صحة الشِرك، لأنّ الله تعالى هو الخالق الرازق المستحق وحده للعبادة)، (فَلَا تُطِعْهُمَا) في دَعْوتهما لك إلى الشِرك (وكذلك الحال في سائر المعاصي، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) (وذلك بالقول الكريم اللَّيِّن، وبالإنفاق عليهما، وإكرام صديقهما ومَن له تعلُّق بهما، وصِلة رَحِمِهما، والدعاء لهما، وطلب رِضاهما)، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 3507)، فاعلم أنه لن يَرضى عنك ربك حتى يَرضى عنك والداك ولو كنتَ أعبَد أهل الأرض، (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ): أي اسلك – أيها الابن المؤمن – طريق مَن تاب من ذنبه، ورجع إليَّ بالتوحيد والطاعة، (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) أيها الآباء والأبناء (فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وأجازيكم على أعمالكم (لِذا فأحسِنوا إلى والديكم، ولكنْ قدِّموا طاعتي على طاعتهما).

♦ وقال لقمانُ لابنه: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا) أي السيئة أو الحسنة التي يفعلها العبد: (إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) يعني إن كانت قَدْر حبة نبات الخَردل – وهي شيء صغير جداً – (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ) (في باطن الجبل)، (أَوْ) في أي مكان (فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) (يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) يوم القيامة، ويحاسِب صاحبها عليها، (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) بعباده (إذ هو عَدلٌ رؤوفٌ بهم) (خَبِيرٌ) بدقائق الأمور.

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ): يعني أَدِّها على أتمِّ وجوهها – وفي أوقاتها – بخشوعٍ واطمئنان، (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) بالحكمة والموعظة الحسنة، (وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) بلُطفٍ ولِين وحكمة (بشرط ألاَّ يتسبب النهي عن المُنكَر في حدوث مُنكَر أكبر منه)، (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ): أي تحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمْرك بالمعروف ونَهْيك عن المنكر، (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ): يعني إنّ هذه الوصايا – وخاصةً الصبر – من الأمور التي ينبغي الحرص عليها، ولا يُوَفَّقُ لها إلا أهل العزائم والهِمَم العالية.

♦ واعلم أنّ الصبر ثلاثة أنواع: (صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على ما يُصيب العبد مِن مِحَنٍ وبَلاءٍ لتكفير ذنوبه أو رفع درجاته)، فعلى الإنسان دائماً أن يتذكر أنّ بلاءَ اللهِ عَدل وأن عافيته فَضْل، فإذا ابْتُلِيَ

بشيءٍ فعليه أن يُسارع بأن يقول: (الحمدُ لله، هذا حَدَثَ بذنوبي، أنا أستحق أكثر من ذلك، هذا عدل)، فهذا مِمَّا يُعِينُهُ على الصبر.

(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) أي لا تُعرِض بوجهك عنهم إذا كَلَّمتَهم (احتقارًا لهم واستكبارًا عليهم)، (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أي متكبراً مُتبَختِرًا، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) أي مُعجَبٌ بنفسه، متكبر على الخلق، (فَخُورٍ) أي يَمدح نفسه على سبيل الفخر، (وَاقْصِدْ) أي تواضَعْ (فِي مَشْيِكَ) (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) فلا ترفعه (إلا على قدر الحاجة)، (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ) أي أقبح الأصوات وأبغضها (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) لأن أصواتها مرتفعة.

– الآية 20، والآية 21: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ) أي لمصالحكم ومنافعكم (مَا فِي السَّمَاوَاتِ) (كالشمس والقمر والسحاب) (وَمَا فِي الْأَرْضِ) (كالدوابِّ والشجر والماء)، (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً): أي عَمَّكم سبحانه بنعمه الظاهرة على الأبدان، والباطنة في العقول والقلوب وما لا تعلمون، (فهو سبحانه الخالق المُنعم المُدبّر، الذي يستحق أن تعبدوه وحده ولا تعبدوا غيره).

♦ ورغم هذه النعم وهذا التسخير: (وَمِنَ النَّاسِ) أي: ومِن الكفار (مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ) أي يُجادلون في توحيد الله تعالى (بِغَيْرِ عِلْمٍ) أي تقليداً لآبائهم من غير دليل، (وَلَا هُدًى) أي مِن غير وَحْيٍ مِن الله تعالى، ومِن غير عقلٍ رَشيد، (وَلَا كِتَابٍ) سماوي (مُنِيرٍ) (يعني فيه نورٌ يَكشف الظُلُمات، بِبَيَان الحُجَج وكَشْف الحقائق)، فليس لهذا المُجادل حُجَّة عقلية، ولا حُجَّة مكتوبة في كتابٍ سابق، وإنما هي وساوس من الشيطان يُلقيها إليه ليُجادلكم بها، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ) أي لهؤلاء المجادلينَ بغير علم: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) على نبيِّه محمد، (قَالُوا): (بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) أي يَكفينا ما ورثناه عن آبائنا مِن الأقوال والأعمال، (أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ): يعني أيتَّبعونهم، حتى ولو كان الشيطان يدعو آباءهم – بتزيينه لهم سُوء أعمالهم – إلى عذاب النار الموقدة؟

– الآية 22، والآية 23، والآية 24: (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أي يُقبل على طاعته سبحانه، مُخلِصاً له في العبادة، لا يلتفت إلى غيره من سائر خَلْقه (وَهُوَ مُحْسِنٌ) في أقواله، مُتقِنٌ لأعماله: (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) أي استمسك بأقوى سبب مُوصِل إلى رضوان الله وجنته، (وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) يعني: وإلى الله وحده يَرجع مَصير الخلائق يوم القيامة، فيُجازي كُلاًّ بعمله، (وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ) – أيها الرسول – لأنك قد أدَّيت ما عليك من الدعوة والبلاغ، و(إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) يوم القيامة (فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا) (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي عليمٌ بما تخفيه صدور عباده، ثم يجازيهم على أعمالهم.

♦ ثم أخبر سبحانه عن إمهاله واستدراجه لهؤلاء المشركين بقوله: (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا) في هذه الدنيا الفانية (ثُمَّ) يوم القيامة (نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) أي نُلجئهم ونَسوقهم إلى عذابٍ فظيع، وهو عذاب جهنم.

– الآية 25: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) يعني: وإنْ سألتَ أيها الرسول هؤلاء المشركين: (مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) على هذا النظام البديع، (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أي ذَلَّلهما لمنافع العباد: (لَيَقُولُنَّ) مُعترفين: (اللَّهُ) هو الذي فعل

ذلك وحده، (قُلِ): (الْحَمْدُ لِلَّهِ) الذي أظهر حُجَّته عليهم، (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ): أي لا يعلمون ولا يتدبرون مَن الذي يستحق الحمد والشكر، فلذلك أشركوا مع الله غيره، (عِلماً بأنهم لا يُعذَرونَ بهذا الجهل، لأنهم يشهدونَ بفِطرتهم أنه سبحانه الخالق الرازق، إذاً فعليهم أن يتفكروا بعقولهم ليعلموا أنه سبحانه المستحق وحده للعبادة، لأنّ غيره لم يَخلق شيئاً ولم يُنعِم بشيء).

- الآية 26: (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) - خَلقاً ومُلكاً وتصرُّفاً وتدبيراً - فلا يستحق العبادة أحدٌ غيره (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه، (الْحَمِيدُ) الذي له الحمد والثناء في كل وقتٍ وحال.

- الآية 27: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ) يعني: ولو أنّ أشجار الأرض أصبحت كلها أقلامًا، (وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) فكانت هذه البحار حِبراً لتلك الأقلام، ليُكتَب بها الكلمات الإلهية (التي تحمل العلوم والمعارف): لَتكَسَّرتْ تلك الأقلام، وانتهى ذلك الحِبر، و(مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يَمنعه أحد مِن فِعل ما يريد، (حَكِيمٌ) (يضع الأشياء في مواضعها)، فلِذا وَجَبَتْ طاعته والتوكل عليه وحده، وحَرُمَ تَعَلُّق القلب بغيرهِ مِن سائر خَلقه، (وفي الآية إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله، فهو ليس كمثله شيء).

- الآية 28: (مَا خَلْقُكُمْ) - أيها الناس - (وَلَا بَعْثُكُمْ) يوم القيامة - في السهولة واليُسر - (إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ): يعني إلا كخَلْق نفس واحدة وبَعْثها، (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لتكذيبكم أيها المُشركون بالبعث، (بَصِيرٌ) بأعمالكم، وسيجازيكم عليها يوم بَعْثكم، (فكما أنه سبحانه يَسمعكم في وقت واحد، ويراكم في وقتٍ واحد، فكذلك يستطيع أن يخلقكم ويبعثكم في وقتٍ واحد).

- الآية 29: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) أي يُدخِل ما يَنقص من ساعات الليل في ساعات النهار، (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) أي يُدخِل ما نَقَصَ من ساعات النهار في ساعات الليل، فيَطولُ هذا ويَقصُر ذاك، (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أي ذَلَّلَهما لمنافع العباد، (كُلٌّ) مِن الشمس والقمر (يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أي يَدورُ في مداره إلى يوم القيامة، (وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم (ألا فاتقوه سبحانه، وراقِبوه في السر والعَلَن، وتوبوا إليه، وتوكلوا عليه، فإنّ الأمر كله في يديه).

- الآية 30: (ذَلِكَ) أي ذلك المذكور مِن آيات قدرة الله تعالى، لتُوقِنوا (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) أي الذي يَستحق العبادة وحده (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) يعني: ولتُوقِنوا بأنّ ما يَعبده المُشركون من دون الله تعالى هو الباطل الذي لا يَنفع ولا يضرُّ (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ) بذاتِهِ وقهره على جميع مخلوقاتِه، (الْكَبِيرُ) في ذاته وصفاته (فهو أكبر وأعظم من كلِّ شيء).

- الآية 31، والآية 32: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ) أي السُفُن (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ) أي بأمر الله للبحر أن يَحملها رغم ثِقَلها (نعمةً منه سبحانه على خَلقه) (لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ) الدالة على تدبيره وقدرته وعنايته بمصالح خلقه، وأنه وحده الذي يجب أن يعبدوه، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ) أي كثير الصبر على طاعة الله، وعن

مَعاصِيه، وعلى أقداره، (شَكُورٍ) أي قائم بحقوق الله تعالى، فيَشكره على نِعَمِه، (وقد خَصَّ اللهُ الصابرينَ الشاكرينَ بالذِكر؛ لأنهم هم الذين يَعتبرون بآياته ولا يَغْفُلون عنها).

♦ ثم أعطى اللهُ للمشركين دليلاً على توحيده (بشعورهم الفِطري) عند ركوبهم السفن في البحر قائلاً: (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) يعني إذا ارتفعت الأمواج مِن حولهم، فصارت كالجبال التي تُظَلِّل مَن تحتها، وخافوا من الغرق: (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يعني أخلَصوا له في الدعاء حتى يكشف عنهم شدتهم، ونسوا حينئذٍ شركائهم، (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ) وزالت عنهم الشدة: (فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) أي مُوفٍ بما عاهَدَ اللهَ عليه في البحر، ومنهم جاحدٌ بنعمة الله تعالى، حيثُ أشرَك بربه المُنْعِم عليه بالنجاة وعَبَد معه غيره، (إنّ المشركين بذلك يُناقضون أنفسهم، إذ يوحِّدون الله ساعة الشدة، ويُشركون به ساعة الرخاء) (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) الدالة على قدرتنا وتوحيدنا (إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ) أي غدَّار ناقض للعهد، (كَفُورٍ) أي جَحود لنعم الله عليه.

– الآية 33: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أي خافوا عذابه (بامتثال أوامره واجتناب نَوَاهيه)، (وَاخْشَوْا يَوْمًا) وهو يوم القيامة، حيثُ (لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ): أي لا يَدفع فيه والدٌ عن ولده شيئاً من العذاب (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ) أي دافعٌ (عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا) من العذاب (فالولد لا يحمل ذنب والده، والوالد لا يحمل ذنب ولده) (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ) أي لا تَخدعكم (الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بزينتها وشهواتها فتُنسيكم الآخرة، (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) أي لا يَخدعكم بالله خادعٌ من شياطين الجن والإنس (إذ يغتنم الشيطان إمهال الله لكم فيُجَرّئكم على المعاصي ويدفعكم إلى تأخير التوبة، فانتبهوا يا عباد الله، فإن الموت قادم، وقد يأتي فجأة).

– الآية 34: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ): أي يعلم وحده متى تقوم الساعة (وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ) أي يُنَزِّل المطر من السحاب، (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ): أي يعلم الجنين الذي في أرحام الإناث (ذكرٌ هو أم أنثى؟ أبيض أم أسمر؟ طويل أم قصير؟ كم سيَعيش؟ وغير ذلك)، (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا) بل الله وحده هو الذي يعلم ذلك، (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك كله، (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بكل شيء (وليس بهؤلاء الخمسة فقط) (خَبِيرٌ) بالظواهر والبواطن.

هذا الكتاب منشور في